## المحاضرة الثانية: مفهوم فلسفة الدين

قبل ضبط مفهوم فلسفة الدين لابد من تقديم مفهوم للفلسفة، غير أن التساؤل الذي يطرح نفسه فيما يتعلق بفلسفة الدين: **ما معنى أن نتفلسف حول الدين؟ هل فلسفة الدين هي دراسة اللامعقول بآليات عقلانية؟ و هل سيبقى شيء من الدين يخضع لمحاكمة العقل؟**

**1-مفهوم الفلسفة:** من الصعب تقديم تعريف دقيق وواضح للفلسفة لأن مفهومها يختلف باختلاف الفلاسفة واتجاهاتهم و باختلاف العصور، و يمكن تقديم المفهوم للفلسفة المفهوم التالي" تفكير نقدي ينصب على الوجود و المعرفة من حيث مصدرها وحدودها، والقيم و محاولة العقل الإنساني تكوين مفاهيم كلية عن الإلوهية و الإنسان و الكون، فهي تجمع بين معرفة الحقيقة و العمل على تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية وفقا لهذه الحقيقة.

**2-مفهوم فلسفة الدين:** هي فرع من فروع الفلسفة تهتم بدراسة الظاهرة الدينية و تحليلها ونقدها أو هي التفسير العقلاني لتكوين بنية الأديان عن طريق الفحص الحر للأديان، فهي تهتم بتحليل مفاهيم مثل الألوهية، الخلود، النجاة المقدس، المعجزات ، الشر، العبادة و غيرها من المفاهيم.

و تستعين فلسفة الدين على تحقيق ذلك بمنجزات العلوم الإنسانية و الاجتماعية مثل علم النفس الديني، و تاريخ الأديان و مقارنة الأديان و علم الاجتماع الديني و الأنثروبولوجية الدينية، غير أنها لا تقبل نتائج هذه العلوم قبولا مطلقا بل تتفحصها من أجل تمييز الصحيح منها و المحتمل من نتائجها.

**3-منهج فلسفة الدين:** باعتبار فلسفة الدين فرع من فروع الفلسفة، فهي تنتهج في تحليلها للأديان نفس الضوابط المنهجية التي تحكم البحث الفلسفي عموما، أي تنتهج **المنهج التحليلي النقدي**، و يمكن دراسة الدين بمناهج علمية متعددة حسب زاوية النظر إليه في كل علم من العلوم، وهي مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية: منهج علم النفس الديني، و علم الاجتماع الديني، وعلم تاريخ الأديان و مقارنة الأديان،**(1)** و سنوضح الزوايا التي يدرس بها كل علم من هذه العلوم، كالتالي:

**أ-علم النفس الديني:** فهو يدرس الدين من زاوية نفسية، و هناك عدة مناهج ، منها منهج التحليل النفسي ل"فرويد"، الذي قدم نظرية في التحليل النفسي للدين، في كتابه **" الطوطم و الحرام"** و في **"مستقبل وهم"** فالدين في نظره يعود إلى عقدة أوديب التي تتضمن المشاعر المتناقضة اتجاه الأب(الحب و العداء) فهو يرجع في نشأته إلى القبيلة البدائية التي يحكمها أب ذكوري شجاع باسل حرم أبنائه من الزواج، و تحت ضغط الدوافع

---

1-محمد عثمان الخشت، المرجع نفسه، ص35.

الجنسية، قتلوه والتهموه نيئا، و كبديل له جسدوا حيوان طوطمي و نسبوا إليه كل التقييدات الأخلاقية التي كان قد وضعها الأب، و فرضوا على أنفسهم طقوس كالوليمة الطوطمية، و يقدم في كتابه **"مستقبل وهم"** تحليل للدين يكمل التحليل السابق و هو أنه عندما يعرف الطفل بأنه يبقى دائما طفلا و أنه بحاجة إلى قوى عليا تحقق له الحماية يضفي على هذه القوى صفات الأب و يصنع لنفسه اله يخشى منه و يسعى إلى عطفه من جهة و ينتظر منه الحماية من جهة أخرى، فالله أب عظيم ابتدعه الإنسان بسبب خوفه و حاجته للحماية و التلطيف من الأخطار.حيث يقول" و هكذا يتفق حنين الطفل إلى الأب مع ما يحس به من حاجة إلى حماية بحكم الضعف البشري، كما أن رد فعل الطفل الدفاعي حيال الشعور بالضيق يتفق و رد فعل الراشد الذي يخالجه هو أيضا و الذي يتولد عنه الدين بسماته المميزة'**(1)** هكذا يكون الدين عند مؤسس التحليل النفسي مجرد وهم، فالعقائد الدينية ليست سوى أساطير لعقد نفسية ترجمت إلى لغة الصور البصرية" فالعقائد الدينية ليست سوى أمور نفسية أسقطت على العالم الخارجي إنها عقد ترجمت إلى لغة الصور البصرية، و بلغة المأساة نذكر منها بوجه خاص "عقدة أوديب" لأن الله هو صورة الأب، و ما القلق الديني إلا طراز من ضيق الطفل بلا أبوين"**(2)**

**ب-علم الاجتماع الديني:** يدرس الدين كظاهرة اجتماعية جمعية، فهو يهتم بدراسة المؤسسة الدينية في المجتمع، و تقاليد المجتمع و أعرافه، و تأثير الدين في الجانب الاقتصادي و في الفن الجمعي، و من الذين أسهموا في هذا المجال"إميل دوركايم" في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" فمن خلال دراسته لأصل الدين في أبحاثه المتعلقة بالقبائل البدائية بأستراليا منها قبيلة "الأرونتا" رد "دوركايم" الدين إلى المجتمع، فالمجتمع هو الذي يخلق الدين من خلال تعريفه لظواهر معينة بأنها مقدسة و هذه الأمور المقدسة تعزل من الواقع الاجتماعي و تعتبر من المحرمات و أخرى مدنسة تمثل الجوانب الحياة الدنيوية العامة-النفعية، و الطوطمية تمثل الشكل البدائي و البسيط للدين يوازيه شكل بدائي من التنظيم الاجتماعي هو العشيرة، و الطوطم هو حيوان أو نبات أو شيء مادي تقدسه القبيلة، و هو التمثيل المادي للقوى غير مادية مجهولة تسمى"المانا" و تلك القوى غي المادية عند "دوركايم" ليست سوى الضمير الجمعي، **إذن الطوطمية خاصة والدين بشكل عام مشتقان من الأخلاق الجمعية و هي نفسها قوى غير شخصية.** بالإضافة إلى إسهامات "ماكس فيبر" في كتابه" الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية"1905م و كتاب"علم الاجتماع الديني" 1922م حيث يرى أن الدين يعطى تصور عام للوجود، مما يؤثر على سلوك الأفراد و بالتالي على التطور الاقتصادي، و هذا ما وجده في

البروتستانتية التي تمنح الحرية للأفراد، و خاصة الكالفينية* التي تقوم على مبدأ "الاصطفاء"، أي اصطفاء الله

---

1-Sigmund, Freud **« Avenir d,une illusion »** Traduction française par Bonaparte(édition électronique réalise par traitement de texte Microsoft 2001)p22.

2-Ibid,p27.

للبشر من خلال العمل والكسب، هذا ما سهم في تطور الرأسمالية. على خلاف الديانات الأخرى التي تقوم على الجبر كالهندوسية و الإسلام، فيما يعتقد "ماكس فيبر".

**ج-علم أنثروبولوجيا الدين:** يهتم بالبحث عن أقدم الأشكال البدائية للدين التي ظهرت في المجتمعات الإنسانية، و تقصي المعتقدات التي كانوا يمارسونها، ومدى تأثيرها في سلوكا تهم، و يبحث في مدى إمكان وجود علاقة بين السحر و الأسطورة والدين.**(1)**

**د-علم تاريخ الأديان:** يصف و يؤرخ لنشأة الأديان و تطور المعتقدات الدينية و الممارسات الدينية في التاريخ، ومن أهم الكتابات في هذا المجال كتاب" الملل و النحل" للشهرستاني.

**ه-علم مقارنة الأديان(علم الأديان المقارن):** يقوم بالمقارنة الوصفية و أحيانا النقدية بين الأديان من حيث المعتقدات و الرؤى و الكتب المقدسة، نقاط التشابه و الاختلاف بينها، ومن أهم الكتابات في هذا المجال "الفصل في الملل و الأهواء و النحل" لأبن حزم.

إن فلسفة الدين تهتم بكل هذه التفسيرات و التحليلات التي تقدمها العلوم من زاويتها و تفسرها تفسيرا كليا مترابطا على أساس أن العلم هو الخطوة الأولى و الفلسفة هي الخطوة الثانية.**(2)**

**4-علاقة فلسفة الدين بعلم الكلام أو علم اللاهوت: علم الكلام أو علم أصول الدين الإسلامي، علم اللاهوت أو علم أصول الدين المسيحي: ما الفرق بينهما؟ و هل توجد علاقة تجمعهما؟**

ينطلق علم الكلام من التسليم المطلق بصحة العقيدة، فهو يسير بمبدأ **"أمن ثم تعقل"** متخذا النص الديني معيارا للتمييز بين الحق و الباطل، معتمدا على المنهج الجدلي الذي يبدأ بمقدمات ظنية و ليست يقينية بالتجربة أو العقل، بمعنى في منهجه يعتمد على النقل أولا ثم العقل ثانيا فالعقل له مكانة ثانوية . و هدف علم الكلام أو اللاهوت هو الدفاع عن العقائد الدينية ضد العقائد المضادة، و محاولة تفنيد العقائد المخالفة، فضلا عن الدفاع عن عقائد دينية من الفرق داخل الدين الواحد ضد الفرق الأخرى في نفس الدين، فهو منحاز منذ البداية إلى النهاية مع عقيدة ما.**(3)**

على خلاف ذلك، فلسفة الدين تهتم بالدين ككل، و ليست مشغولة بالدفاع عن دين دون دين أخر، فهي خدمة

---

1-إحسان علي الحيدري **"فلسفة الدين في الفكر الغربي"**(دار الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة1، 2013) ص156

*-الكالفينية: مذهب مسيحي ديني بروتستانتي يرجع إلى جون كالفن، تأسس في القرن 16م رافضا للمسيحية الكاثوليكية.

2-محمد عثمان الخشت، المرجع نفسه" مدخل إلى فلسفة الدين" ص 36،37.

3-المرجع نفسه، ص37.

العقل، و تبدأ من نقطة بدء موضوعية خالصة، أي غير منحازة، لكنها قد تنحاز في نهاية التحليل لدين ما، لأنها تنتهج المنهج البر هاني و تتجنب المنهج الجدلي أو الانفعالي.

العقل الواضح والبرهنة السليمة هي معيار التمييز بين الحق والباطل، فالعقل يتخذ موقع الريادة، و ليس النص الديني أو العاطفة الدينية، على خلاف علم الكلام أو اللاهوت الذي منحاز من البداية إلى النهاية، و العاطفة الدينية هي التي تسيطر على المتكلم منذ البداية.

تحاول فلسفة الدين تحري مدى عقلانية المعارف و المعتقدات الدينية بفحصها و تحليلها، **و هنا تمثل فلسفة الدين معرفة بشرية عن الدين** بينما علم اللاهوت أو علم الكلام ، فهو يؤمن بالمعارف و المعتقدات لدين معين أولا و ينقلها للآخرين بإثبات عقلانيتها ثانيا، و هنا **يمثل علم اللاهوت معرفة دينية لدى البشر.(1)**

---

- 1-إحسان علي الحيدري، المرجع نفسه**"فلسفة الدين في الفكر الغربي"ص**156